

البنية الجيوسياسية للشرق الأوسط ومشاريع التفكيك وإعادة البناء:
من الفوضى الخلاقة إلى الربيع العربي

*The Geopolitical Structure of the Middle East and the Division and
Reconstruction Projects: From Creative Chaos to the Arab Spring*

سفيان منصوري*

جامعة بومرداس، الجزائر، s.mansouri@univ-boumerdes.dz

سمير حمياز

جامعة بومرداس، الجزائر، s.hamiaz@univ-boumerdes.dz

تاريخ الإرسال: 2020 / 09 / 27 * تاريخ القبول: 2021 / 03 / 01 * تاريخ النشر: 2021 / 05 / 15

ملخص:

يحاول هذا المقال، الوقوف على دراسة البنية الجيوسياسية للشرق الأوسط في ظل تحديات مشاريع التفكيك وإعادة البناء، من الفوضى الخلاقة إلى الربيع العربي، من خلال الانطلاق من إشكالية مفادها: ما هي المضامين التي تنطوي عليها مشاريع التفكيك وإعادة البناء التي تهندسها قوى الهيمنة الدولية في الشرق الأوسط؟ وما مدى تأثير هذه المشاريع على البنية الجيوسياسية للشرق الأوسط؟. وقصد معالجة الإشكالية، تم الاستعانة بالمنهج التاريخي، وكذا المنهج الوصفي التحليلي، بالإضافة إلى مقارنة النظم لدراسة منطقة الشرق الأوسط كأحد الأنظمة الإقليمية الفرعية الهامة من النظام العالمي الشامل.

وتبرز أهمية هذا المقال، في كونه يهدف إلى البحث في مشاريع التقسيم التي ترسم لمنطقة الشرق الأوسط وبالأخص الجزء العربي منها، وما تنطوي عليها هذه المشاريع من مخاطر وتداعيات، فضلا عن اقتراح الخيارات والبدائل التي يمكن أن تراهن عليها دول المنطقة لمواجهة هذه المشاريع والمخططات. وقد توصل هذا المقال إلى مجموعة من النتائج، ومن ذلك، أن المنطقة الشرق أوسطية باتت تشكل إحدى المنظومات الإقليمية الأكثر عرضة للاختراق والانكشافية بفعل مشاريع التقسيم، الأمر الذي أدى إلى القضاء على ما تبقى من النظام الإقليمي والأمني الشرق أوسطي، ولعل هذا ما يفرض على دول المنطقة العمل على بناء وعي إستراتيجي ويقظة إستراتيجية كفيلة بمواجهة المخاطر والتبعات التي تنطوي عليها مشاريع التفكيك وإعادة البناء على المنطقة الشرق أوسطية.

الكلمات المفتاحية: الجيوسياسية، الشرق الأوسط، مشاريع التقسيم، الفوضى الخلاقة، الربيع العربي.

Abstract:

This research aims to study the geopolitical structure of the Middle East in light of the challenges of partition projects, from creative chaos to the Arab Spring, based on the following problematic What are the implications of the division and reconstruction projects that are planned by the international hegemonic forces in the Middle East? And what is the impact of these projects on the geopolitical structure of the Middle East? To address the problematic,

* s.mansouri@univ-boumerdes.dz

this research relied on historical method, as well as the descriptive and analytical method, in addition to systems approach, to study the Middle East region as one of the important sub-regional systems of the global system.

The importance of this research appears in that it tries to research the division projects that draw the region and the risks and repercussions they contain, in addition to proposing options and alternatives that the countries of the region can rely on to confront these projects. This article reached the following conclusions that the Middle East region constitutes one of the regional systems most vulnerable to penetration due to the division projects, which led to the penetration the regional and security system of the Middle East, and perhaps this forces the countries of the region to work on building strategic awareness and strategic vigilance to confront the risks and repercussions of the division and reconstruction projects on the region of the Middle East.

Keywords: *Geopolitics, Middle East, Division Projects, Creative Chaos, Arab Spring.*

مقدمة:

يشكل الشرق الأوسط إحدى المنظومات الإقليمية الأكثر عرضة للاختراق والإنكشافية، ذلك أن المنطقة تحولت إلى موضوع وهدف لمشاريع التفكير وإعادة البناء، التي تجلت بالأساس من خلال مشروع الفوضى الخلاقة، الشرق الأوسط الكبير، "الربيع العربي"، بالإضافة إلى الطروحات الاستشراقية الجديدة "لبرنارد لويس" التي تدعو إلى إذكاء الصراعات الطائفية وإعادة تقسيم الخريطة الجيوسياسية للمنطقة وفق منطق "سايكس بيكو جديد"، ولكن على أسس عرقية ومذهبية.

الملاحظ أن مساعي قوى الهيمنة الدولية لاستهداف المنطقة، خصوصا من طرف المحور الأمريكي-الإسرائيلي، لا يمكن تفسيرها فقط من خلال مركزية الشرق الأوسط في السياسة الدولية وأهميته الجيوستراتيجية والطاقوية، وإنما أيضا اقترن ذلك برهانات جيوسياسية تجسدت بالأساس من خلال التكريس العملي لإستراتيجية شد الأطراف (دعم دول محور الاعتدال الحليفة للولايات المتحدة) وإضعاف دول القلب وتفكيكها (محور المقاومة)، وبذلك يتشكل الوضع الجيوسياسي الإقليمي وفق الرؤية الأمريكية، وبالشكل الذي يؤدي إلى استدامة المصالح الحيوية العليا للولايات المتحدة، ويضمن أمن إسرائيل ويخدم رهاناتها الإقليمية في الشرق الأوسط. وعليه، إن هذه المشاريع والإستراتيجيات التي تهندسها قوى الهيمنة الدولية لاختراق وتقسيم المنطقة، أدت إلى القضاء على ما تبقى من النظام الإقليمي والأمني الشرق أوسطي، الأمر الذي يستدعي "يقظة إستراتيجية" نفضي إلى بناء مجموعة من الإستراتيجيات، كاستكمال مسار بناء الدولة الوطنية، المراهنة على الخيار التكاملي، أو حتى البحث عن شراكات وتحالفات دولية لموازنة ومواجهة المشاريع والأدوار التي تمارسها قوى التفكير في منطقة الشرق الأوسط وبخاصة في الجزء العربي منها.

تأسيسا على ما سبق، يحاول هذا المقال معالجة الإشكالية البحثية التالية:

ما هي المضامين التي تنطوي عليها مشاريع التفكير وإعادة البناء التي تهندسها قوى الهيمنة الدولية في الشرق الأوسط؟ وما مدى تأثير هذه المشاريع على البنية الجيوسياسية الشرق أوسطية؟.

قصد الإجابة على الإشكالية، يحاول هذا المقال اختبار الفرضيات التالية:

- انتظام التوازنات الجيوسياسية والإقليمية، بالشكل الذي يضمن استدامة المصالح العليا للتحالف الأمريكي-الإسرائيلي في الشرق الأوسط، يتوقف على مدى نجاح إستراتيجيات ومشاريع التفكير وإعادة البناء.

• **الضعف الهيكلي والعجز الوظيفي للأنظمة السياسية القائمة في الشرق الأوسط، أدى إلى تحفيز قوى الهيمنة الدولية لتقسيم المنطقة، بالشكل الذي يخدم مشاريعها ورهاناتها الجيوسياسية.** سعياً للإجابة على الإشكالية، تم الاستعانة بالمنهج التاريخي، من أجل رصد وتتبع التطور التاريخي لمشاريع التفكير وإعادة البناء التي ترسمها قوى الهيمنة الدولية لمنطقة الشرق الأوسط. وكذا المنهج الوصفي التحليلي، وذلك ليس فقط من خلال الاكتفاء بتوصيف هذه المشاريع، وإنما أيضاً العمل على نقد وتحليل ومضامينها مع الكشف عن تبعاتها ومخاطرها على المنطقة. بالإضافة إلى الاستعانة بمقاربة النظم، باعتبارها تساعد على دراسة منطقة الشرق الأوسط كأحد الأنظمة الإقليمية الفرعية الهامة من النظام العالمي الشامل. قصد المعالجة الشاملة للموضوع والإحاطة بمختلف جوانبه، تم تقسيم هذا المقال إلى المحاور التالية:

1. في تحديد المجال الجغرافي والقيمة الإستراتيجية للشرق الأوسط.
2. البنية الجيوسياسية للشرق الأوسط ومشاريع التفكير وإعادة البناء.
3. تداعيات مشاريع التفكير وإعادة البناء على البنية الجيوسياسية للشرق الأوسطية.
4. آليات التصدي والمواجهة: بحث في البدائل والخيارات الإستراتيجية المتاحة.

1. في تحديد المجال الجغرافي والقيمة الإستراتيجية للشرق الأوسط:

يشكل الشرق الأوسط أحد المجالات الجيوسياسية، التي تحظى بأهمية بالغة في لعبة التوازنات الدولية، ليس فقط بحكم مركزية المنطقة في السياسة الدولية، وإنما أيضاً بالنظر إلى أهميتها الحيوية على جميع الأصعدة الجيوسياسية، والحيواقتصادية، والحضارية.

1.1. تحديد النطاق الجغرافي لمنطقة الشرق الأوسط:

بالرغم من أن التعاريف التي قدمتها الأدبيات الجيوسياسية والإقليمية المتخصصة للشرق الأوسط هي في درجة كبيرة من التباين والاختلاف (Rambeaud, 2011, P.13)، بيد أنها تتفق على مركزية المنطقة في السياسة الدولية. ويعد الأميرال "ألفريد ماهان" أول من استخدم عبارة الشرق الأوسط عام 1902، للدلالة على المنطقة التي تقع بين شبه الجزيرة العربية والهند، وهي المنطقة التي تتخذ من الخليج مركزاً لها (منصور، د.ت.ن، ص.39).

وإذا كان المعهد الملكي البريطاني للعلاقات الدولية، عرف الشرق الأوسط بأنه يشمل إيران وتركيا وشبه الجزيرة العربية، ومنطقة الهلال الخصيب والسودان وقبرص، فإن معهد الشرق الأوسط بواشنطن، جعل المنطقة تتطابق مع العالم الإسلامي (هلال، مطر، 1983، ص.23). كما يشير مصطلح الشرق الأوسط، إلى ذلك الحيز الجغرافي الذي يمثل ملتقى تقاطع القارات الثلاث، إفريقيا، أوروبا وآسيا، فضلاً عن كونه يشكل خطاً حدودياً فاصلاً بين الشرق والغرب أو بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي (أوغلو، 2010، ص.385). تأسيساً على ما سبق، يمكن القول أن الاستخدامات الغربية لمصطلح الشرق الأوسط يغلب عليها الطابع التحكيمي، باعتبارها استندت في تعريفاتها للمنطقة إلى معايير واعتبارات إستراتيجية أكثر منها جغرافية وموضوعية. وعليه، فالشرق الأوسط من منظور غربي هو مصطلح فضفاض ومطاط قد يضيق ويتسع بحسب الرؤى والمصالح الجيوسياسية لقوى الهيمنة الدولية.

2.1. الأهمية الجيوسياسية للشرق الأوسط:

إن الدارس لأهمية الشرق الأوسط على هدي النظريات الجيوسياسية، يلحظ أن المنطقة تشكل حسب طروحات "هالفورد ماكيندر" أحد مراكز الثقل الأساسية في جزيرة العالم، كما أن المنطقة تمثل حلقة اتصال وربط بين قلبي الأرض الشمالي والجنوبي. وعليه، فالمنطقة الشرق الأوسطية تعد بحق محورياً رئيسياً من محاور إستراتيجيات الهيمنة العالمية. كما تعتبر المنطقة في ضوء النظرية الجيوسياسية التي طرحها "نيكولاس سبيكمان"

جزءاً أساسياً من "المحيط الأرضي" "Rimlands" الذي يعتبر التحكم فيه مدخلاً أساسياً لتحقيق السيطرة العالمية (دوغين، 2004، ص.106).

وتبرز الأهمية الجيوسياسية للشرق الأوسط، في كونه يشرف على مضائق إستراتيجية ومعايير بحرية هامة، ومن ذلك، قناة السويس، مضيق عدن، مضيق جبل طارق، ومضيق باب المندب (أوغلو، ص.360). علاوة على ذلك، فإن اتساع الحيز الجغرافي للمنطقة يوفر لها العمق الإستراتيجي والقدرة على نشر القواعد العسكرية الكفيلة بالدفاع وتأمين المنطقة من التهديدات والمخاطر الخارجية.

بالنظر إلى أهمية المنطقة ومركزيتها في الجيوسياسية العالمية، يقول "جورج لينزوسكي" في مؤلفه الشهير "الشرق الأوسط في الشؤون العالمية": "لا يمكن لأية سياسة خارجية رشيدة تسعى للهيمنة أن تتجاهل الشرق الأوسط وأثره على بقية مناطق العالم." (Lenezowski, 1982, P.10).

3.1. الأهمية الجيواقتصادية للشرق الأوسط:

يحظى الشرق الأوسط بأهمية بالغة على الصعيد الجيواقتصادي، باعتباره يمتاز بوفرة الموارد الطبيعية والثروات المعدنية ومصادر الطاقة، إذ تشير لغة الأرقام إلى أن المنطقة تحتوي على ثلثي 63% من الاحتياطي العالمي المؤكد من النفط. وعلى حوالي 24% من الاحتياطي العالمي من الغاز الطبيعي، كمورد حيوية وإستراتيجية بالنسبة لحضارة التصنيع العالمية (Lacoste, 2009, P. 319).

كما أن الأهمية الجيواقتصادية للشرق الأوسط، لا تكمن فقط في أهمية موقعه المتوسط الذي يتحكم في طرق المواصلات التي تعتبر بمثابة الشرايين الحيوية للتجارة الدولية، وإنما أيضاً بحكم اشتماله على سوق استهلاكية واسعة، مما يجعله يشكل إحدى الساحات الرئيسية للحروب التجارية المحتمدة بين القوى الفاعلة التي تحكم حركة الاقتصاد العالمي.

4.1. الأهمية الجيوحضارية للشرق الأوسط:

يكتسي الشرق الأوسط أهمية بالغة على الصعيد الجيوحضاري، بالنظر إلى كونه يشكل مهداً للحضارات ومركزاً للإشعاع الثقافي والعلمي، فضلاً عن كونه يمثل مهبطاً للديانات السماوية التوحيدية الثلاث (اليهودية، المسيحية والإسلام). وعليه، فالمنطقة تمثل مهبط الوحي وأرض الأنبياء، ذلك أن الديانات السماوية الثلاث ظهرت في منطقة الشرق الأوسط ومنها انتشرت إلى باقي أنحاء العالم (أوغلو، ص.362). ولذلك ليس من الغريب أن يكون للمنطقة ثقل ديني وحضور وجداني عند معتنقي الديانات الثلاث عبر العالم.

تأسيساً على ما تقدم، يتضح أن الأهمية البالغة التي تحظى بها منطقة الشرق الأوسط، جعلتها تشكل مركز استقطاب ومحور اندفاع السياسات التدخلية لقوى الهيمنة الدولية، فضلاً عن كونها تحولت إلى موضوع وهدف لمشاريع التفكير وإعادة البناء، قصد إضعاف المنطقة والسيطرة على ثرواتها ومقدراتها.

2. البنية الجيوسياسية للشرق الأوسط ومشاريع التفكير وإعادة البناء:

منذ "مؤتمر كامبل بانرمان" (1907/1905)، إلى "الربيع العربي"، ومنطقة الشرق الأوسط تواجه تحديات ومخاطر التفكير وإعادة البناء التي يمكن إبرازها في المشاريع التالية:

1.2. "مؤتمر كامبل بانرمان" (1907/1905) كمعلم تأسيسي لمشاريع التفكير في المنطقة:

يعتبر "مؤتمر كامبل بانرمان" الذي انعقد في بريطانيا في الفترة الممتدة ما بين 1905 و 1907، معلماً مرجعياً وتأسيسياً لمشاريع تفكير وتقسيم منطقة الشرق الأوسط وبالأخص الجزء العربي الإسلامي منها، وقد شاركت في هذا المؤتمر القوى الاستعمارية الأوروبية على غرار بريطانيا، فرنسا، إسبانيا، بلجيكا، هولندا وإيطاليا، وقد بحث المؤتمر الخيارات الإستراتيجية التي من شأنها إضعاف وتفكيك المنطقة لضمان استدامة هيمنة القوى الاستعمارية الغربية عليها، ولذلك، توصل المؤتمر إلى مجموعة من المخرجات ومن ذلك أن منطقة حوض

المتوسط تحظى بأهمية جيواستراتيجية، بيد أنه يعيش على الضفة الجنوبية والشرقية لحوض المتوسط شعب واحد تجمع عناصر الوحدة كالدين واللغة والتاريخ، الأمر الذي يستدعي إضعافه وتقسيمه حتى لا يشكل تهديدا للمصالح الحيوية للقوى الاستعمارية الغربية. كما أكد المؤتمر على ضرورة إقامة دولة إسرائيل في قلب المنطقة و من ثم توظيفها كأداة لتفتيت المنطقة ومحاربة أي توجه وحدوي فيها (برهوم، 2019، ص.15).

2.2. الطروحات الإستراتيجية الجديدة: "برنارد لويس" لتقسيم المنطقة:

تضمن المشروع الذي طرحه المستشرق اليهودي "برنارد لويس"، ووافق عليه الكونغرس الأمريكي عام 1983، و عملت الإدارات الأمريكية المتعاقبة على تطبيقه، وبخاصة في مرحلة المحافظين الجدد، خطة متكاملة لتقسيم وتقطيع الشرق الأوسط لاسيما الجزء العربي منه إلى دويلات صغيرة تقوم على أسس عرقية ومذهبية، وقد جاء في هذا المشروع أن سوريا ستقسم إلى أربع دويلات: دولة دمشق السنية، دولة حلب السنية، دولة علوية ودولة درزية. أما مصر فتقسم إلى ثلاث دويلات: دولة قبطية عاصمتها الإسكندرية، دولة سنية عاصمتها القاهرة، ودولة النوبة عاصمتها أسوان. أما المغرب العربي، فسيقسم إلى: دولة المغرب العربي، دولة البربر، دولة البوليزاريو. ونفس المنطق ينسحب على العراق، لبنان والسودان (الذي تم تقسيمه) المرشحة للتقسيم على أسس عرقية ومذهبية (المنياوي، 2012، ص.ص.153-154). والملاحظ أن هذه الطروحات التي تدعو إلى تقسيم المنطقة تم إحيائها من جديد من خلال مشروع الشرق الأوسط الكبير والفوضى الخلاقة و عملت على تجسيدها السياسة الأمريكية في المنطقة وبخاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001.

3.2. مشروع الشرق الأوسط الكبير:

لقد شكل مشروع الشرق الأوسط الكبير الذي أطلقته إدارة المحافظين الجدد سنة 2004، أحد المحاور الأساسية في الإستراتيجية الأمنية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط، وقد تضمن المشروع ثلاثة أبعاد رئيسية:

- ❖ **تشجيع الديمقراطية والحكم الرشيد:** من خلال تشجيع الانتخابات الحرة، حرية واستقلالية الإعلام، الشفافية ومكافحة الفساد، تطوير وترقية منظمات المجتمعات المدني... الخ (الحوات، 2005، ص.133).
- ❖ **بناء مجتمع معرفي:** من خلال معالجة تحديات التعليم في المنطقة وتطوير وإصلاح التعليم وتعزيز الجهود الساعية لمحو الأمية، واستخدام التكنولوجيات المتقدمة ومناهج التعليم الحديثة... الخ.
- ❖ **توسيع الفرص الاقتصادية:** من خلال إطلاق ديناميكية جديدة في المنطقة تستهدف تحقيق التنمية والتحول الاقتصادي، وإطلاق قدرات القطاع الخاص والزج بالمنطقة في الليبرالية الاقتصادية وتعزيز التجارة الحرة والتعاون الإقليمي... الخ (الأشهب، الحسيني، 2005، ص.20).

بالرغم من أن هذا المشروع وضع اليد على القضايا والإشكاليات الرئيسية التي عصفت بمنطقة الشرق الأوسط وجعلتها في "الثقب الأسود"، كانهدام الديمقراطية والتنمية وضعف الأداء الاقتصادي والسياسي للأنظمة القائمة، إلا أن هذا المشروع ينطوي على أبعاد ومضامين جيوسياسية خطيرة، باعتباره يهدف إلى إعادة ترتيب الخارطة الجيوستراتيجية للمنطقة، عبر تفعيل آلية "التفكيك وإعادة البناء"، وبالتالي والإجهاد على ما تبقى من النظام الإقليمي العربي، لتقوم على أنقاضه هيكلية وبناء جيوسياسي جديد يقوم على فكرة الشرق أوسطية التي يقودها التحالف الأمريكي-الإسرائيلي (هويدي، 2005، ص.41).

كما أن المشروع يهدف إلى جعل إسرائيل ككيان طبيعي في المنطقة، وكذا العمل على طمس الهوية العربية والإسلامية وإفراغ المنطقة من محتواها العربي والإسلامي، وبذلك، يتم ضرب المقومات الثقافية والحضارية الإسلامية للوطن العربي وتذويبه في نطاق أوسط غير محدد العالم (العساف، 2008، ص.250).

وبالنظر إلى المخاطر الجسيمة والنزعة التدخلية التي ينطوي عليها مشروع الشرق الأوسط الكبير، تبلورت ممانعة كبيرة للمشروع الأمريكي من طرف شعوب وحكومات المنطقة، بل حتى الدول التي يطلق عليها "المعتدلة والصديقة" في الدوائر الأمريكية، رفضت هذه المشروع الوافدة من الخارج.

4.2. مشروع الفوضى الخلاقة:

تعتبر الفوضى الخلاقة مشروع سياسي-إستراتيجي أطلقتها اليمين السياسي في الولايات المتحدة، وتم التنظير له في "معهد أمريكي أنتربرايز" الذي يعتبر "قلعة" المحافظين الجدد. وقد أطلقت "كوندوليزا رايس" مصطلح الفوضى الخلاقة في عام 2005 في صحيفة واشنطن بوست للدلالة على رؤية إصلاحية لتغيير الشرق الأوسط "نحو الأفضل".

ويشير مفهوم الفوضى الخلاقة في إطارها العربي الشرق أوسطي، إلى فكرة مفادها "أن المجتمعات العربية راكدة سياسيا، ولكي يتحرك ركودها لا بد من إحداث شيء من الفوضى والخلخلة حتى يحصل التغيير." (المنيأوي، ص.13) وعلى هذا، فالفوضى الخلاقة تتأسس نظريا على ثنائية التفكير والتركيب، ومن فكرة أن النظام ينبثق من الفوضى.

وقد شكلت الفوضى الخلاقة محورا هاما في إستراتيجية المحافظين الجدد تجاه مسارات التغيير والحملات الطويلة من الهندسة الاجتماعية في الشرق الأوسط، ولذلك، يرى "مايكل ليدن" "أن" "التدمير البناء" هو صفتنا المركزية فالوقت قد حان لإعادة صياغة المنطقة العربية عبر تغيير ليس فقط النظم بل الجغرافيا السياسية أيضا انطلاقا من رؤية خاصة تفود إلى "تصميم جديد لبناء مختلف." (المنيأوي، ص.12) بمعنى إحداث الفوضى لتفكيك دول المنطقة وإعادة تركيبها وفق منطق سايكس بيكو جديد، ولكن على أسس عرقية ومذهبية.

والملاحظ أن العراق شكل إحدى الدول الشرق أوسطية الأكثر تأثرا بنظرية الفوضى الخلاقة، باعتباره تعرض إلى آلية "العلاج بالصدمة" وإلى ثنائية التفكير وإعادة البناء، وهو الأمر الذي تجلى بالأساس من خلال تعاليم "بول بريمر" والتدمير الأمريكي للعراق وحل وتفكيك مؤسسات الدولة العراقية. ومن خلال هذه الفوضى يتم بناء العراق الجديد الذي ينقسم وفق المخطط الأمريكي إلى ثلاث دويلات طائفية: دولة السنة، وأخرى للشيعية وثالثة للأكراد. (الشاهر، 2009، ص.132)

وعليه، إن ما اعتبرته "رايس" "تغيير نحو الأفضل" عند طرحها لمشروع الفوضى الخلاقة، أدى إلى إفراز نتائج عكسية، ذلك أن التجربة العراقية أثبتت مدى فشل الثورة الديمقراطية الموعودة التي تنطلق من العراق لتعم الشرق الأوسط بأكمله، بل أن تطبيق مشروع الفوضى الخلاقة، قاد العراق من أقصى الديكتاتورية إلى أقصى درجات الفوضى والانفلات الأمني، وهو ما ساهم أيضا في تحول العراق إلى أرض خصبة لتفشي ظاهرة الإرهاب ومركزا لاستقطابه عبر العالم.

ومن ضمن المشاريع الأمريكية التي تنطوي على مخاطر جسيمة على منطقة الشرق الأوسط وبالخصوص الجزء العربي منها، تجدر الإشارة إلى الخريطة التي حددت ملامح الشرق الأوسط الجديد، والمنشورة في مجلة القوات العسكرية الأمريكية في جويلية 2006، تحت عنوان: "حدود الدم"، والتقرير يتماهى بشكل واضح مع مشروع "لويس"، ويقوم على فكرة أساسية مؤداها أن الحدود السياسية التي رسمتها القوى الاستعمارية الأوروبية (فرنسا وبريطانيا) لدول المنطقة في أوائل القرن العشرين، لم تأخذ بعين الاعتبار الحدود الأنتروبولوجية والخصائص العرقية والدينية لشعوب المنطقة.

الأمر الذي أدى إلى تجميع العديد من العرقيات المتناحرة في دولة واحدة، وعلى هذا الأساس، فإن حدود الشرق الأوسط تسبب خلاا وظيفيا داخل الدولة نفسها، وبين الدول مع بعضها البعض، من خلال سياسات لا أخلاقية تمارس ضد الأقليات القومية والدينية والإثنية، بسبب التطرف الديني، القومي والمذهبي، الأمر الذي

يستوجب إعادة رسم حدود سياسة جديدة لدول المنطقة، من خلال لم الشمل على أساس الدين والقومية في دولة واحدة، مما يعزز الاستقرار في الشرق الأوسط (المنياوي، ص.155).

والملاحظ أن هذه الإستراتيجية، تلتقي تماما مع السياسة الصهيونية التي تهدف إلى تقسيم وإضعاف مجمل المنطقة الشرق أوسطية خدمة لمطلب الأمن القومي الإسرائيلي، وفي هذا الصدد يقول "جوناثان كوك": "إن المحافظين الجدد يشاركون إسرائيل بقوة في ضرورة مواصلة هذه الإستراتيجية التي تهدف إلى إلغاء أي دور لدول الشرق الأوسط وإغراقها في المشكلات الداخلية التي تعمق من ضعفها، وتصرفها على إتباع سياسة موحدة لتحقيق الطموحات التي عبرت عنها شعوب المنطقة في مراحل تاريخية متعاقبة، والتي لا يراها هذا التيار السياسي موافقة لإسرائيل، ولا للمصالح الإستراتيجية الأمريكية" ويتابع "كوك" قوله: "إن الهدف هو بدأ موجة من الصراع الطائفي انطلاقا من العراق إلى كل المنطقة." (عبدو، 2010، ص.79).

5.2. الربيع العربي بين الثورة والفضى وسيناريوهات التقسيم:

في ظل ما تشهده منطقة الشرق الأوسط من حراك وتحولات، هناك عدة تساؤلات تطرح نفسها حول "ربيع" التغيير العربي، في ما إذا كان استمرار للفضى الخلاقة التي تبنتها الإدارة الأمريكية أو أنه صنيغة مواقع التواصل الاجتماعي ضمن سياق مخططات أمريكية تهدف إلى إعادة رسم الخريطة الجيوسياسية للمنطقة، أو أنه كان رد فعل منطقي لشعوب عاشت حالة من الاحتقان والتهميش لعدة عقود من الزمن (المنياوي، ص.5).

من المعروف أن بداية الثورات ليست مثل نهايتها، وهناك مسلمة في العلوم الاجتماعية تقر أن الحكم على الظاهرة خلال حدوثها لن يوصلنا إلى استنتاجات قطعية وموضوعية، ذلك أن الظواهر الاجتماعية والسياسية تطلب رسداً وتحليلاً في حالة من الاستمرارية والسيرورة والتقاطع مع مجموعة بنيوية، وهذا يتطلب فترة من الزمن حتى نستطيع رصد التحولات الهيكلية الكبرى جزاء "الثورات العربية" بشكل موضوعي. وعليه، ليس من الحكمة التعجيل بإطلاق الأحكام النهائية على "الربيع العربي"، ذلك أن الواقع يقر بعد مرور عقد من الزمن على انطلاق "الثورات"، فإن حصاد ونتائج "الربيع العربي" مدمرة حيث أدت إلى حالة من الفوضى والانفلات الأمني، تراجع معدلات الإنتاج، الاضطرابات الطائفية، انهيار الدولة الوطنية وتنامي دور الفواعل غير الدولاتية كالتنظيمات الإرهابية، انهيار ما تبقى من النظام الإقليمي العربي... الخ.

وعلى هذا، هناك من المحللين من يعتبر أن هذه الثورات لا تعدو أن تكون سوى استمرار لمشاريع سابقة أطلقتها الولايات المتحدة في المنطقة، كمشروع الشرق الأوسط الكبير والفضى الخلاقة، ذلك أن مآلات ومخرجات هذه الثورات اتسقت وتماهت تماما مع الأهداف العليا التي أطلقتها تلك المشاريع، خصوصا ما يتعلق بتغيير خارطة الجيوسياسية للمنطقة، من خلال طرح سيناريوهات لتقسيم دول "الربيع العربي" على أسس عرقية ومذهبية، كما هو الحال بالنسبة "لسوريا المفيدة" المرشحة للتقسيم، نفس المنطق ينسحب على ليبيا واليمن.

كما أن نتائج الثورات، تؤكد على الاستمرار في تطبيق إستراتيجية شد الأطراف (دعم دول الاعتدال، دول الخليج الصديقة للولايات المتحدة) وتمزيق دول القلب (محور المقاومة) وإغراقها بإذكاء الصراعات الطائفية (السلطان، 2002، ص.111)، كما هو الحال بالنسبة لسوريا والعراق سابقا، ولذلك، فالدول الأكثر تأثرا "بالربيع العربي" هي دول محور المقاومة المناهض لإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، الأمر الذي يجعل من التوازنات الإقليمية في المنطقة تنتظم وفق الرؤية الخادمة التحالف الأمريكي-الإسرائيلي.

3. تداعيات مشاريع التفكيك وإعادة البناء على البنية الجيوسياسية الشرق أوسطية:

لقد أفضت الأبعاد الكلية للإستراتيجية التي انتهجتها الولايات المتحدة لتفكيك المنطقة وإعادة بنائها، إلى إفراز تداعيات خطيرة ليس فقط على سيادة الدولة ووحدتها الترابية (غليون، 2005، ص.93)، ولكن أيضا أدت إلى الإجهاد على ما تبقى من النظام الإقليمي والأمني الشرق أوسطي الذي وصفه "أحمد داود أوغلو" في كتابه

الشهير "العمق الإستراتيجي" بأنه كجدار مخلخل البناء مفكك اللبنة، وبالتالي فإن تحريك أية لبنة من لبناته سيؤدي حتما إلى انهياره. (أوغلو، ص.375).

وعليه، فالشرق الأوسط، وبالخصوص في المرحلة الممتدة منذ 11 سبتمبر إلى ما بعد "الربيع العربي"، أصبح يواجه تحديات إستراتيجية خطيرة، باعتبار المنطقة شكلت أحد المجالات الجيوسياسية الأكثر تأثراً بالحملة الأمريكية على الإرهاب وبمشاريع التقسيم، كما مثلت إحدى الساحات الرئيسية والمفتوحة على كل أساليب وتكتيكات التدخل الدولي التي كانت تستهدف الإطاحة بالأنظمة المناوئة للسياسة الأمريكية في المنطقة وتنصيب أخرى موالية، فضلا عن اللجوء أكثر إلى سياسات الهيمنة وبسط النفوذ ومختلف أساليب القسر والإكراه، كما أن المنطقة أصبحت تشكل موضوع وهدف للحروب والقواعد العسكرية الأمريكية ومختلف المخططات الجيوسياسية التي تقوم على منطق التفكير وإعادة البناء، كالفوضى الخلاقة، الشرق الأوسط الكبير، "الربيع العربي" على الوجه الذي يخدم المصالح الحيوية للتحالف الإستراتيجي الأمريكي-الإسرائيلي، الأمر الذي أدى إلى وضع مجمل البنية الجيوسياسية الشرق أوسطية على خط الإنكشافية (هويدي، ص.41).

يرى "برهان غليون" "أن التدخلات الأمريكية ومشاريع التقسيم التي ترسم للشرق الأوسط بعد أحداث 11 سبتمبر، تهدف إلى وضع وصاية مباشرة على دول المنطقة، من خلال إعادة تشكيل وترسيخ قواعد نظام شرق أوسطي شبه استعماري، كما تهدف هذه المشاريع إلى إضعاف المنطقة وتفكيكها، وكذا الحفاظ على نظام التدخلات الأجنبية التي طبعت مصير الشرق الأوسط وحددت اتجاهات تطوره منذ انقضاء حقبة التحرر من السيطرة الاستعمارية." (عبدو، ص.123)، ومن هذا المنطلق، فإن هذه المشاريع والسياسات التدخلية تعد انتهاكا صارخا لسيادة بعض دول المنطقة وأمنها القومي.

وبصفة عامة، ويمكن إبراز التداعيات التي أفرزتها الإستراتيجية الأمريكية لتغيير النظم والمشاريع التي طرحتها لتفكيك دول المنطقة وإعادة تركيبها في النقاط التالية:

- تقويض سيادة بعض الدول في منطقة الشرق الأوسط على غرار العراق سوريا..، بفعل التدخلات الأمريكية ومشاريع التفكير وإعادة البناء، وهو ما يضع مجمل المنطقة على خط الإنكشافية.
- تقويض السلامة الإقليمية لبعض دول المنطقة، من خلال مشاريع الفوضى الخلاقة الشرق الأوسط الكبير، الربيع العربي، التي أدت إلى تقسيم دول المنطقة، كما هو الحال بالنسبة للسودان، والأمر قد ينسحب أيضا على سوريا، العراق، اليمن، وليبيا بفعل مآلات "الربيع العربي".
- استهداف بعض دول محور المقاومة كالعراق وسوريا..، والعمل على إضعافها وتفكيكها، لتحل محلها دويلات طائفية على درجة كبيرة من التناحر وعدم القدرة على التعايش.
- إضعاف وتقسيم بعض دول المنطقة حتى يسهل السيطرة عليها وعلى مقدراتها وثرواتها النفطية، كما هو الحال بالنسبة للسودان الذي تم تقسيمه واحتواؤه، ونفس الإستراتيجية قد تنسحب مستقبلا على دول أخرى مثل العراق وليبيا.
- تنامي ظاهرة الفوضى والانفلات الأمني، انتشار السلاح، انهيار الدولة الوطنية وتنامي دور الفواعل غير الدولائية، مثل تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام..، نتيجة تداعيات "الربيع العربي" (المنيوي، ص.5).

بالنظر إلى التداعيات الخطيرة التي أفرزتها المشاريع الجيوسياسية للتفكيك وإعادة البناء، فقد تحول الشرق الأوسط إلى منطقة رخوة على درجة كبيرة من الاختراق والإنكشافية، وهو ما دفع "كارل براون" إلى القول: "إن منطقة الشرق الأوسط أصبحت المنظومة الفرعية الأكثر اختراقا من بين منظومات العلاقات الدولية." (جرجس، 1997، ص.17).

4. آليات التصدي والمواجهة: بحث في البدائل والخيارات الإستراتيجية المتاحة:

تقتضي مواجهة التحديات التي تفرضها مشاريع التفكير وإعادة البناء في منطقة الشرق الأوسط، أن تراهن دول المنطقة على مجموعة من البدائل والخيارات الإستراتيجية، التي يمكن إدراجها ضمن ثلاث مستويات أساسية:

1.4. الخيارات والبدائل على المستوى الوطني:

يشكل استكمال مسار عملية بناء الدولة، بكل ما تنطوي عليه هذه العملية من أبعاد سياسية ومؤسسية واقتصادية وأمنية، إحدى الآليات التي يمكن أن تراهن عليها دول المنطقة لمواجهة التدخلات والمشاريع التي تطرحها قوى التفكير على المنطقة، خاصة وأن الضعف الهيكلي والعجز الوظيفي للأنظمة السياسية لدول المنطقة، كان على الدوام هو السبب الرئيسي لتدويل قضاياها وتدخل القوى الكبرى لتقسيمها، وهو أيضا السبب الرئيسي الذي جعل الكثير من دول المنطقة تتحول إلى موضوع للتبعية الخارجية وسياسات الهيمنة الدولية. ولذلك، يعد استكمال مسار عملية بناء الدولة حصنا منيعا أمام مشاريع التفكير وإعادة البناء وسياسات التدخل الدولي.

2.4. الخيارات والبدائل على المستوى الإقليمي:

يتعين على دول الشرق الأوسط قصد مواجهة المشاريع التي تطرحها قوى التفكير في المنطقة، المراهنة على طرح مشروع تكاملي خاص بها، يعكس مصالحها الحيوية ويعبر عن إرادتها السيادية بعيدا عن الضغوطات التي تمارسها القوى الكبرى، ذلك أن التوجه نحو الإقليمية (الخيار التكاملي) لا يشكل فقط حصنا منيعا لمواجهة المساعي الأمريكية والإسرائيلية لإضعاف وتقسيم المنطقة ومن ثم السيطرة عليها، وإنما أيضا كون الخيار التكاملي يعد ضرورة إستراتيجية ومسألة حتمية في عصر العولمة الذي لا تعيش فيه إلا التكتلات الإقليمية، كما أن التوجه نحو الإقليمية سيحقق الكثير من المزايا لدول المنطقة، ومن ذلك، اكتساب القوة التفاوضية التي تمكنها من التعامل بندية مع الأطراف الخارجية وفق مبدأ توازن القوى وتوازن المصالح، وإقامة علاقات تعاون وشراكة مع هذه الأطراف تكون من نوع كاسب/كاسب، بالإضافة إلى تحقيق الأمن والتنمية، وكذا الاندماج في الاقتصاد العالمي وفي مسار العولمة بشكل إيجابي، وتجنب مخاطر التهميش والإقصاء... الخ.

بيد أن الدول الشرق أوسطية لا تزال تفتقر إلى الإرادة السياسية ولم تدرك بعد أهمية بناء التكامل الإقليمي، بل والأكثر من ذلك اتجهت كما يقول "محمد السعيد إدريس": " إلى التمسك بسيادتها إلى حد الإسراف إبان الدعوة للمشاريع الوحدوية، وتمسكت بقوة بمبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية وجعلته حصنا منيعا لصد أية دعوة إلى الوحدة العربية، كما كانت المشاحنات والخصومات تنفجر بين الدول العربية بدافع الغيرة على السيادة، ولكن كل هذا لم يحدث في علاقة الدول العربية مع الأطراف الخارجية، حيث كان التساهل لدرجة التفريط في كل ما يمت بصلة لهذه السيادة الوطنية." (عبدو، ص.92).

كما يتعين على دول المنطقة قصد مواجهة محاولات الاختراق والتقسيم التي تهدد أمنها ووحدتها الترابية، المراهنة على تفعيل هياكل الأمن الإقليمي "اتفاقية الدفاع المشترك" لجامعة الدول العربية، بدلا من الاستعانة بالتدخلات الأجنبية لإدارة الأزمات في المنطقة، الأمر الذي جعل من الأمن العربي قضية أطلسية أكثر منها عربية، وبالتالي يصبح الحلف الأطلسي هو الحكم والفيصل السياسي والعسكري في حسم النزاعات والأزمات التي تنتشب في المنطقة العربية، خاصة أن بعض دول المنطقة فتحت الأبواب على مصراعيها للتدخلات الأجنبية، الأمر الذي سيؤدي إلى أطلسية الأمن العربي، حيث تصبح الحماية الأمنية الأطلسية أهم بكثير من إستراتيجية أمنية عربية (الحيالي، 2003، ص.151).

3.4. الخيارات والبدائل على المستوى الدولي:

يرى "يوهان غالتونغ" أن التنوع من الشركاء الإستراتيجيين الدوليين آلية هامة لكسر علاقات التبعية والهيمنة الخارجية، ومن هذا المنطلق، يتعين على الدول العربية، أن لا تحصر علاقات الدولية مع دول بعينها، وإنما عليها التوجه إلى سياسة التنوع من الشركاء الدوليين، وبخاصة المراهنة على دور الصين، روسيا، الهند وإيران ليس فقط لموازنة ومواجهة المشاريع التي تمارسها قوى التفكير في المنطقة، وإنما أيضا لاكتساب هامش أوسع من المناورة ومن حرية العمل في السياسة الدولية.

ويُضاف إلى ما سبق، يتعين على دول المنطقة أن تولي المزيد من الاهتمام بالمؤسسات البحثية، باعتبارها تساهم بشكل كبير نشر الوعي الإستراتيجي بشأن المخاطر التي تفرضها مشاريع التقسيم على البنية الجيوسياسية للشرق الأوسط.

خاتمة:

على ضوء ما سبق، توصل هذا البحث إلى مجموعة من النتائج ومن ذلك، أن البنية الجيوسياسية للشرق الأوسط، أصبحت محل انتهاك واختراق على نطاق واسع بفعل مشاريع التفكير وإعادة البناء، كالفوضى الخلاقة، الشرق الأوسط الكبير، "الربيع العربي"، إذكاء الصراعات الطائفية، بالإضافة إلى "إستراتيجية شد الأطراف"، وغيرها من السياسات التي تستهدف تفجير دول المنطقة من الداخل، (وبخاصة في دول محور المقاومة)، الأمر الذي أدى إلى الإجهاز على ما تبقى من النظام الإقليمي والأمني الشرق أوسطي.

وعليه، فالخريطة الجيوسياسية للشرق الأوسط لاسيما الجزء العربي منه، أصبحت عرضة للتقسيم وفق منطق "سايكس بيكو" جديد ولكن على أسس عرقية ومذهبية، بالشكل الذي يجعل التوازنات الجيوسياسية والإقليمية تنتظم وفق الرؤية الأمريكية، وبالشكل الذي يؤدي إلى استدامة المصالح العليا للتحالف الأمريكي-الإسرائيلي في المنطقة.

ولذلك، فالتصدي لمشاريع التفكير وإعادة البناء، مرهون بمدى نجاح دول المنطقة في استكمال مسار بناء الدولة الوطنية، ومعالجة الضعف الهيكلي والعجز الوظيفي للأنظمة السياسية القائمة، فضلا عن أهمية بناء مشاريع تكاملية وترتيبات أمنية إقليمية، وكذا التنوع من الشركاء الدوليين وبالخصوص التعاون مع روسيا، الصين، لموازنة ومواجهة المشاريع والأدوار التي تضطلع بها قوى التفكير في الشرق الأوسط.

ويُضاف إلى ما سبق، أهمية وضرورة الاهتمام بمراكز البحوث والدراسات، باعتبارها تؤسس لوعي إستراتيجي و"يقظة إستراتيجية"، وتغلب دور المنبه بالمخاطر والتحديات التي تواجه منطقة الشرق الأوسط، فضلا عن كونها يمكن أن تشكل "ظهير معرفي" يعين الأنساق العليا لدول المنطقة على اتخاذ أفضل الخيارات والبدائل الإستراتيجية التي من شأنها مواجهة مشاريع التفكير وإعادة البناء التي تعاني منها البنية الجيوسياسية للشرق الأوسط.

قائمة المراجع:

أولاً: باللغة العربية:

■ الكتب:

- الأشهب، نزيه. الحسيني، محمد. (2005). مشروع الشرق الأوسط الكبير أعلى مراحل التبعية. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.
- أوغلو، أحمد داود. (2010). العمق الإستراتيجي: موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية. الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات.
- برهوم، باسم. (2019/03/20). الحياة الجديدة، العدد 8375.
- جرجس، فواز. (1997). النظام الإقليمي العربي والقوى الكبرى. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- الحوات، محمد علي. (2005). العرب وأمريكا من الشرق أوسطية إلى الشرق الأوسط الكبير. القاهرة: مكتبة مدبولي.
- الحياي، نزار إسماعيل. (2003). دور حلف شمال الأطلسي بعد الحرب الباردة، أبوظبي: مركز الإمارات للبحوث والدراسات الإستراتيجية.
- دوغين، ألكسندر. (2004). أسس الجيوبوليتيكا، مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي. بيروت: دار الكتاب الجديد.
- السلطان، جاسم. (2002). الإستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط. عمان: دار وائل.
- شاهر، إسماعيل الشاهر. (2009). أولويات السياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث 11 أيلول 2001. دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب.
- عبدو، حسن. (2010). النظام العالمي ومستقبل سيادة الدولة في الشرق الأوسط. مذكرة ماجستير في الدراسات الشرق أوسطية. جامعة الأزهر (غزة): كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- العساف، سوسن. (2008). إستراتيجية الردع: العقيدة العسكرية الأمريكية الجديدة والاستقرار الدولي. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- غليون، برهان. (2005). العرب والعالم بعد 11 سبتمبر. دمشق: دار الفكر.
- منصور، محمد محمود. (د.ت.ن). الصراع الأمريكي السوفياتي في الشرق الأوسط. مصر: مكتبة مدبولي.
- المنياوي، رمزي. (2012). الفوضى الخلاقة. دمشق: دار الكتاب العربي.
- هلال، علي الدين، مطر، جميل. (1983). النظام الإقليمي العربي: دراسة في العلاقات السياسية العربية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- هويدي، فهمي. (2005). المتغيرات الدولية والأدوار الإقليمية الجديدة. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

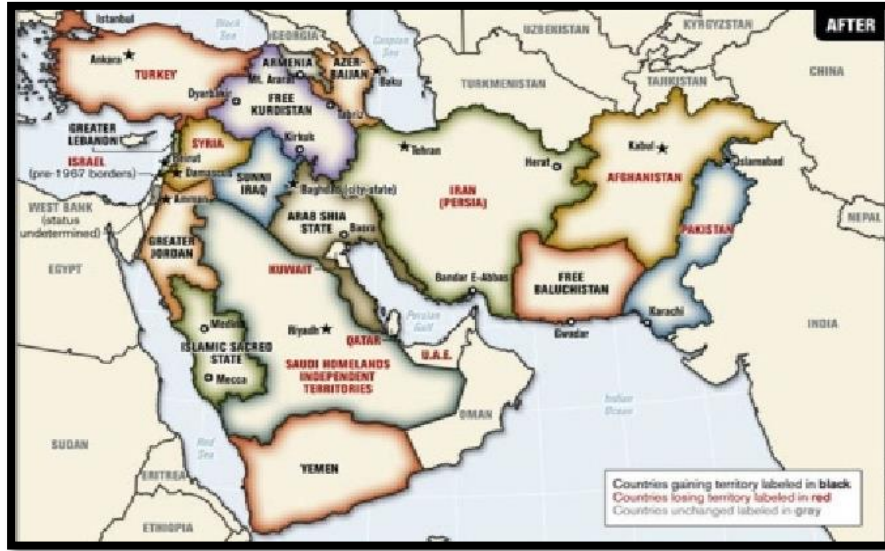
ثانياً: باللغة الأجنبية:

■ Books :

- Lacoste, Yves. (2009). Géopolitique, la longue histoire d'aujourd'hui. Paris: Larousse.
- Lenezowski, George. (1982). The Middle East in world Affairs. New-York: Connell University Press.
- Rambeaud, Paul. (2011) Le Moyen Orient : Une Région Sous Tensions, Paris : Edition Ellipses.

الملاحق:

الخريطة (1): التقسيم الجديد للشرق الأوسط.



المصدر: (عبدو ، ص.125).